إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه. ولكنّ الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع إليهنّ وإلى نفثهنّ، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبؤن به.

فإن قُلْتَ: فما معنى الاستعاذة من شرهنّ؟[1] **قُلْتُ:** فيها ثلاثة أوجه: أحدها أن يستعاذ من عملهنّ الذي هو صنعة السحر ومن إثمهنّ في ذلك، والثاني أن يستعاذ من فتنتهنّ الناس بسحرهنّ وما يخدعنهم به من باطلهنّ، والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهنّ. ويجوز أن يراد بهنّ النساء الكيادات، من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[2] تشبيهًا لكيدهنّ بالسحر والنفث في العقد، أو اللاتي يفتنّ الرجال بتعرّضهنّ لهم وعرضهنّ محاسنهنّ كأنهنّ يسحرنهم بذلك.

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾.

﴿إذا حسد﴾ إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضارّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره. وعن عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالمًا أشبه بالمظلوم من حاسد. ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره.

فإن قُلْتَ: قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ **قُلْتُ:** قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر.

فإن قُلْتَ: فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ **قُلْتُ:** عرفت النفاثات؛ لأنّ كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض. وكذلك كل حاسد لا يضر، وربّ حسد محمود وهو الحسد في الخيرات، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلا في اثنتين»[3]. وقال أبو تمام:

وما حاسد في المكرمات بحاسد

وقال:

إنّ العلا حسن في مثلها الحسد

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ المعوّذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها»[4].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الناس مكية

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾.

قرئ قل أعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، ونحوه فخذ أربعة.

فإن قُلْتَ: لم قيل **﴿برب الناس﴾** مضافًا إليهم خاصةً؟[5] **قُلْتُ:** لأنّ الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم، كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم.

مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾.

فإن قُلْتَ: **﴿ملك الناس إله الناس﴾** ما هما من رب الناس؟ **قُلْتُ:** هما عطف بيان كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق. بين بملك الناس ثم زيد بيانًا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره: رب الناس. كقوله: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله. وقد يقال: ملك الناس. وأمّا إله الناس فخاص لا شركة فيه فَجُعِلَ غاية البيان.

فإن قُلْتَ: فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرّة واحدة؟ **قُلْتُ:** لأنّ عطف البيان للبيان فكان مظنةً للإظهار دون الإضمار.

مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾.

﴿الوسواس﴾ اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأمّا المصدر فوسواس بالكسر كزلزال. والمراد به الشيطان، سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس، والوسوسة الصوت الخفي، ومنه وسواس الحلي، و**﴿الخناس﴾** الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير:

= في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر، والحديث مشهور. وإنما الزمخشري استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف، وما به إلا أن يتبع اعتزاله ويغطي بكفه وجه الغزالة.

(1) قال أحمد: وهذا من الطراز الأوّل فعدّ عنه جانباً، ولو فسر غيره النفاثات في العقد بالمتخيلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتم إنكار وجود السحر، لعدّه من بدع التفاسير.

(2) سورة يوسف، الآية: 28.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة = (الحديث رقم: 73)، وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (الحديث رقم: 268/816).

(4) أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، الزيلعي 4/ 338 وقال ابن حجر: والحديث المرفوع في ذلك موضوع الكاف الشاف ص 190.

(5) قال أحمد: وفي التخصيص جرى على عادة الاستعطاف، فإنه معه أتم.

إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، فإذا غفل وسوس إليه.

ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾.

﴿الذي يوسوس﴾ يجوز في محله الحركات الثلاث: فالجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على أحد هذين الوجهين.

مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾.

﴿من الجنّة والناس﴾ بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي كما قال شياطين الإنس والجن. وعن أبي ذرّ رضي الله عنه أنه قال لرجل: هل تعوّذت بالله من شيطان الإنس. ويجوز أن يكون من متعلقًا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية. أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجنّ ومن جهة الناس. وقيل: من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة، واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن. وما أحقه لأن الجن سموا جنًا لاجتنانهم، والناس ناسًا لظهورهم من الإيناس وهو الإبصار، كما سموا بشرًا، ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبًا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسي كقوله: ﴿يوم يدع الداع﴾[1] وكما قرئ: من حيث أفاض الناس. ثم يبين بالجنة والناس لأنّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل. عن رسول الله ﷺ: «لقد أنزلت عليّ سورتان ما أنزل مثلهما، وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما» يعني: المعوذتين، ويقال: للمعوذتين: المقشقشتان: قال عبد الله الفقير إليه: وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامّة، وألوذ بكنف رحمته الشاملة العامّة، من كل ما يكلم الدين، ويثلم اليقين، أو يعود في العاقبة بالندم. أو يمدح في الإيمان المسوط باللحم والدم. وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر، ووضع الخدّ لجلاله الأعظم الأكبر. مستشفعًا إليه بنوره الذي هو الشبية في الإسلام متوسلاً بالتوبة الممحصة للآثام. وبما عنيت به من مهاجرتي إليه ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي. على توكل من القوى. وتخاذل من الخطا. ثم أسأله بحق صراطه المستقيم. وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين. وعرق الجبين. في عمل الكشاف عن حقائقه. المخلص عن مضايقه. المطلع على غوامضه. المثبت في مداحضه. الملخص لنكته ولطائف نظمه. المنقر عن فقره وجواهر علمه. المكتنز بالفوائد المفتنة التي لا توجد إلا فيه. المخيط بما لا يكتنه من بدع ألفاظه ومعانيه. مع الإيجاز الحانف للفضول. وتجنب المستكره المملول. ولو لم يكن في مضمونه إلا إيراد كل شيء على قانونه. لكفى به ضالةً ينشدها محققة الأحبار. وجوهرةً يتمنى العثور عليها غاصة البحار. وبما شرّفني به ومجدني واختصني بكرامته وتوحدني. من ارتفاعه على يدي في مهبط بشاراته ونذره. ومتنزل آياته وسوره. من البلد الأمين بين ظهراني الحرم. وبين يدي البيت المحرم. حتى وقع التأويل. حيث وجد التنزيل. أن يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد. ولا يفضحني بها على رؤوس الأشهاد. ويحلني دار المقامة من فضله. بواسع طوله وسابغ نوله. إنه الجواد الكريم الرؤوف الرحيم.

في نسخة ما نصه

في أصل المصنف بخطه رحمه الله تعالى: وهذه النسخة هي نسخة الأصل الأولى التي نقلت من السواد وهي أم الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحقوقة أن تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها في السنة الشهباء فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة في جناح دار السليمانية التي على باب أجياد الموسومة بمدرسة العلامة: ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسمائة وهو حامد لله على باهر كرمه ومصلٍ على عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1) سورة القمر، الآية: 6.

نبذة من ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى

قد ذكر الأستاذ الفاضل الشيخ إبراهيم الدسوقي مصحح دار الطباعة المصرية الميرية سابقًا رحمه الله، جملة من ترجمة مؤلف الكشاف نيل بها النسخة التي جرى عليها الطبع، فاستحسن نقلها بنصها لتكون مرآة للاطلاع على بعض ما للمؤلف من رفيع المزايا وحميد السجايا ولسان صدق في الآخرين وأنموذجًا لفضله المتين ونصها:

هو إمام الأئمة وهادي هداة هذه الأمة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري من هو بأحاسن النعوت حرى صاحب التآليف الزاهرة والتصانيف الفائقة الباهرة فهو الإمام الكبير في الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان وغيرها بلا معاني كان إمام عصره من غير مدافع، تشدّ إليه الرحال من كل مكان شاسع، أخذ الأدب عن شيخه منصور أبي مضر، وصنف التصانيف البديعة الغرر، منها هذا الكتاب في تفسير القرآن، ولم يدرك شأوه فيه إنسان، والمحاجاة بالمسائل النحوية، والمفرد والمركب في العربية، والفائق في تفسير الحديث، ولم ير مثله في القديم ولا في الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، ولم يبلغ كتاب قبله في التمييز مبلغه، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ومتشابه أسامي الرواة والنصائح الكبار، والنصائح الصغار، وضالة الناشد والرائض، في علم الفرائض، والمفصل في النحو وهو كتاب كبير، وقد اعتنى بشرحه خلق كثير، والأنموذج في علم العربية، والمفرد والمؤلف في المسائل النحوية، ورؤوس المسائل الفقهية، والمستقصى في الأمثال العربية، والبدور السافرة. في الأمثال السائرة. والكتاب الجليل: المسمى بديوان التمثيل، وشقائق النعمان: في حقائق النعمان، وشافي العي: من كلام الشافعي، والقسطاس في العروض ومعجم الحدود والمنهاج في الأصول ومقدمة الأدب في اللغة وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسائل الناصحة والأمالي الواضحة في كل فن وغير ذلك وكان شروعه في تأليف المفصل في غرّة شهر رمضان سنة 513 ثلاث عشرة وخمسمائة وفرغ منه في غرّة المحرم سنة 515 خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر إلى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانًا فصار يقال له: جار الله لذلك وكان هذا الاسم علمًا عليه وقد اشتهر أنّ إحدى رجليه كانت ساقطة وأنه كان يمشي في جارن من خشب واختلف في سبب سقوطها فقيل: إنه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفًا من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيرًا ما يؤثر في الأطراف في تلك البلاد فتسقط به خصوصًا خوارزم فإنها في غاية البرودة ومنها خلق كثير سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لا يعرفه، وقيل أنّ الزمخشري لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله، فقال: دعاء الوالدة، وذلك أني كنت في صباي أمسكت عصفورًا وربطته بخيط في رجله فأفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله في الخيط فتأملت والدتي لذلك، وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخاري أطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي، وعملت عليَّ عملاً، أوجب قطعها. والله أعلم بالصحة وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي قد كتب إليه من الإسكندرية وهو يومئذ مجاور مكة حرسها الله يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته فردّ جوابه بما لا يشفى الغليل فلما كان في العام الثاني كتب إليه أيضًا مع الحجاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال في آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه إلى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبته في السنة الماضية فلم يجب بما يشفي الغليل وله في ذلك الأجر الجزيل فكتب إليه الزمخشري ما لم يكن له في حساب ولولا خوف التطويل لذكرت الاستدعاء والجواب لكن لا بأس بذكر بعض الجواب وهو ما مثله مع أعلام العلماء إلا كمثل السها مع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام مع الغوادي الغامرة للقيعان والآكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة إلا شبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني الرواية وأنا في كلا البابين نو بضاعة مزجاة ظلى فيه أقلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الإسناد لم تستند إلى علماء نحارير ولا إلى أعلام مشاهير وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها وبرص مايبل شفاها ولا يغرنكم قول فلان فيّ وفلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردها كلها ولو سردناها لطال الحال ثم قال فإنّ ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطن المشوه ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وإيصال الشفقة إلى المستفيدين وقطع المطامع عنهم وإفاضة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والرب بها عن السفاسف الدنيات والإقبال على خويصتي والإعراض عما لا يعنيني فجللت في عيونهم وغلطوا فيّ ونسبوني إلى ما لست منه في قبيل ولا دبير وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في قول أبي بكر الصديق رضوان الله عليه وليتكم ولست بخيركم إن المؤمن ليهضم نفسه وإنما صدقت الفاحص عني وعن كنه روايتي ودرايتي ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمي وقصارى فضلي وأطلعته طلع أمري وأفضيت إليه بخبية سرى وألقيت إليه عجري وبجري وأعلمته نجمي وشجري وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى: زمخشر وسمعت أبي رحمة الله تعالى يقول: اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها واسم عبيرها

فقيل له: زمخشر فقال: لا خير في شر ورد ولم يلمم بها ووقت الميلاد شهر الله الأصم في عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود والمصلى على سيدنا محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة وقد أطال الكلام فيها ولم يصرح له بمقصوده فيها ولا يعلم هل أجازه بعد ذلك أولاً. ومن شعره السائر قوله وقد ذكره السمعاني في الذيل قال أنشدني أحمد بن محمود الخوارزمي إملاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشري لنفسه بخوارزم:

ألا قل لسعدي ما لنا فيك من وطر ... وما نطلبن النجل من أعين البقر
فإنا اقتصرنا بالذين تضايقت ... عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة ... ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس إذ عازلته قرب روضة ... إلى قرب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئني بورد وإنما ... أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرني رجع طرف أجيء به ... فقلت له هيهات مالي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر ... فقلت له إني قنعت بما حضر

ومن شعر يرثي شيخه أبا مضر المذكور أوّلاً:

وقائلة ما هذه الدرر التي ... تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدرّ الذي كان قد حشا ... أبو مضر أنني تساقط من عيني

ومما أنشد لغيره في كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾:

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته ... ما كان منه في الزمان الأوّل

وقيل: إنّ الزمخشري أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الأبيات:

ومن كلامه رضي الله عنه:

زمان كل حب فيه خب ... وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق ... فنافق فالنفاق له نفاق

ومن كلامه:

سهرى لتنقيح العلوم الذ لي ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طرباً لحل عويصة ... أشهى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامي على أوراقها ... أحلى من الدوكاء والعشاق

والذ من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألقى الرمل عن أوراقي
ألبيت سهران الدجى وتبيته ... نوماً وتبغى بعد ذاك لحاقي

ومن كلامه:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلم
فإن حنفيا قلت قالوا بأنني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرم
وإن مالكيا قلت قالوا بأنني ... أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم
وإن شافعيا قلت قالوا بأنني ... أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن حنبليا قلت قالوا بأنني ... أقل حلولي بغيض مجسم
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه ... يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فما أحد من الناس يسلم
وأخرني دهري وقدم معشرا ... على أنهم لا يعلمون وأعلم
ومذ أقلع الجهال أيقنت أنني ... أنا الميم والأيام أفلح أعلم

وكانت ولادة الزمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفي رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة 538 ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانيه خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها:

فأرض مكة تدرى الدمع مقلتها ... حزنا لفرقة جار الله محمود

وزمخشر بفتح الزاي والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وبعدها راء. قرية كبيرة من قرى خوارزم وجرجانيه بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشدّدة ثم هاء ساكنة وهي قصبة خوارزم قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: يقال لها بلغتهم كركانج فعربت وقيل لها: جرجانيه وهي على شاطئ جيحون. انتهى ما ذكره الأستاذ السوقي رحمه الله تعالى.

بعونه تعالى وتوفيقه ومنّه
تمّ تفسير الكشّاف للزمخشري رحمه اللّه
وللّه الحمد